بالتوحيد ناطقة بالتمجيد خاشعة خاضعة مطيعة سامعة شاكرة ذاكرة شاهدة ساجدة
قال تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقال تعالى الم تر ان الله يسبح له ما في
السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه وقال تعالى سبح لله ما في السموات والارض
وقال تعالى ثم استوى على العرش اي السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا
طائعين وقال تعالى ولله يسجد ما في السموات والارض والشمس والقمر والنجوم والكواكب والجبال والشجر
والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب وقال تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا
متصدعا من خشية الله والايات في مثل ذلك كثيرة معلومة لا مرية فيها واعلم ان وجود الكائنات وتسبيحها
وخشوعها وخضوعها هو عين الشكر والتوحيد لخالقها وموجدها وباريها ومصورها هذا ووجودها
وسجودها ليس لنفع يعود على نفسها ولا لمصلحة ترجع على ذواتها وانما ذلك كله انما وجد لصنع
وتكييف وكون وزين لاكرم المخلوقات وافضل المصنوعات العلوية والسفلية وهو النوع الانساني
المختار للخلافة والولاية والهداية والرعاية والتمكين فدليل قوله تعالى هو الذي خلق
لكم ما في الارض جميعا وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري
في البحر بامره وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وهو الذي سخر لكم البحر
لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها والخيل والبغال والحمير لتركبوها
والايات في هذا المعنى كثيرة جدا ومن جمعها قوله تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الارض
جميعا منه وتسخير هذه الانواع والاجناس والاصناف لهذا النوع الانساني الضعيف
البنية السخيف التركيب الضعيف الجرم والجثة الكبير القدر والهمة المولى من العالمين
العلوي والسفلي فروحه علوية سماوية وجثته سفلية ارضية وداره متوسطة بين العلوي
والسفلي لكونه مستقرا بين الارض والسماء وخير الامور اوساطها لا جرم كانت هذه الامة خير
الامم لقوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا اي عدولا فتامل الاشارة وبالجملة فما اكرم
الله تعالى به هذا النوع الانساني ان جعل له من الشهوات حصة لئلا تفوته البهائم

٨٥

من الطيبات ملبسا ومركبا ومسكنا ومأكلا ومشربا وقسم له من العلوم والمعارف حصة
لئلا تفوته الملائكة وجعل لكل عضو من اعضائه منفعة خاصة كما ركبه على صفة خاصة
يستعمل كل عضو في معرفة مناسبة له ويسخره في طاعة تليق به والدليل على ذلك قوله تعالى
وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون وانما نص على هذه الاعضاء الثلاث لكونها
اشرف الاعضاء والطفها واعمها منفعة ولا يكاد يتاتى العلم بدونها اما السمع ليستفيد به
معرفة الايات والحكم واما البصر ليستفيد النظر والعبرة واما الفؤاد اي العقل ليستفيد به العلوم والفكر
ولهذا كان السؤال عن هذه الثلاثة اكد واجدر كما قال تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك
كان عنه مسؤلا فطوبى لمن استعمل هذه الاعضاء في الذكر والشكر وويل لمن غلبت عليه الشقاوة
فاطلقها في موجبات الفجور والكفران فان قلت كيف يكون الشكر بهذه الاعضاء وليست محلا
للنطق فاعلم ان الشكر بمحل النطق الذي هو اللسان من وظائف العوام الذين ذكرهم لقلقة وشكرهم
طقطقة يقنعون من الاذكار بمجرد الحركة الظاهرة والاسرار الباطنة محجوبة عنهم بالهوى
وغلبة حب الدنيا فذكرهم غفلة وحضورهم غيبة ووجودهم جحود وشكرهم كفر واستغفارهم
اصرار لا جدوى لكثير من طاعاتهم ولا تقوى في كثير من عباداتهم وان كان له جدوى وفائدة
فهي قليلة بالنسبة الى ما عليه الخاص من الطاعات فعاداتهم عبادات وعبادات غيرهم
عادات اذا علمت هذا فحقيقة الشكر عند الخواص ان لا تعصي الله عز وجل بنعمه وان
تستعمل كل عضو فيما خلق له من المعرفة والطاعة فشكر السمع مثلا ان لا تلقيه الى
محرم من غيبة وقذف وفحش والة لهو من مزمار ورباب وطنبور وجنك وصنج وغناء محرم
ومزح ونحوه بل تصغي الى كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وسير الصالحين واحوال
الصالحين والى نحو اذان واقامة وذكر وقول حكمة ووعظ وسماع علم ونحو ذلك بشرط ان
تعمل بما علمته وسمعته والا فعلمك واستماعك وبال وخسارة دنيا واخرى اللهم علمنا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)